

عمران دمشق

"قراها"

دعا الاتصال بين دمشق وقراها الى ان سكن اكثرها بعض الامويين منذ الفتح فاصبحت
كأنها حارات لدمشق او مصانيف لاعيانها وتوفرت فيها مرافق الحياة حتى قال من بطوطة
بعد كلامه على عمران المزة وذكر من نسب اليها من العلماء والفضلاء ان في أكثر قرى دمشق
الحمامات والمساجد الجامعة والاسواق وسكانها كاهل الحاضرة في مناحيهم

ولا بدع اذا اخرجت هذه القرى مثليات من العلماء فقد عدد باقوت في مجسم البلدان في
في الربع الاول من القرن السابع للهجرة أكثر القرى والامصار التي درمت في بلاد الاسهم
واقى بما قيل فيها من الاشعار وما نسب اليها من الوقائع التاريخية وحملة العلم والادب وساقى في
ثلاث صفحات من كتابه علماء قرية وأحدة اسمها (صنعا دمشق) وهي دارسة اليوم لا يعرف
اسمها ولا رسمها. فنياً لذلك العمران ورعيًا لتلك الازمان. وهاك اسماء الضياع للهوراس
(بيت فنياً) كانت قرية مشهورة في القوطة والصحيح بيت الالهة. أكثر الشعراء من ذكرها
ونسب اليها خلق من اهل الرواية والذراية والنسب اليها بتلحي وكانت عامرة في اوائل القرن
الحادي عشر ذكر في ترجمة عبد اللطيف المحبي المتوفى سنة ١٠٣٣ انه اتى بساتين فيها ووفنها
(بيت الآبار) يضاف اليها كورة من غوطة دمشق فيها عدة قرى خرج منها غير واحد
من رواة العلم

(بيت ارناس) من قرى القوطة بها قبر ابي مرتد بن ثار بن الحصين من الصحابة
(بيت سابا) قال ابن عساكر ان هشام بن يزيد بن محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية
بن ابي سفيان الاموي كان يسكن بيت سابا من اقليم بيت الآبار عند جرمانس وكان لجدته
يزيد بن معاوية

(ارزونا) من قرى دمشق قرب عربيل
(عائقين) قال صاحب فوات الوفيات انها قرية بظاهر دمشق مات فيها ابو بكر بن
ايوب اخو السلطان صلاح الدين سنة ٦١٥ هـ ونقل منها الى دمشق ودفن بالقلمة ثانياً يوم
وفاته ثم نقل الى مدرسته المعروفة به
(الجامع) من قرى القوطة سكنها قوم من بني امية

(طرميس) قرية في القنطرة نسب اليها بعض اهل الرواية من ورد ذكرهم في تاريخ دمشق
 (حجرا) من قراها يُنسب اليها كثير من العلماء وحججها المروفة اليوم هي غيرها
 (ذقانية) خرج منها اناس من اهل العلم
 (ديرابان) قرب قرحناة سكنه بعض الامويين
 (ديربوتنا) بجانب القنطرة في انزه مكان قال ياقوت وهو من اقدم ابنة النصارى
 يقال انه بني على عيد المسيح عليه السلام او بعده بقليل وهو صغير ورهبانه قليلون اجاز به
 الوليد بن يزيد فرأى حسنة فاقام به يوماً في لهو ومجون وشرب ونظم في وصفه اياتاً خلاعية
 (ديرمحمد) قال ابن عساكر كان عمر بن عبد العزيز يراه اهلاً للخلافة واليه اتسب
 المحمديات التي فوق الارزة ودير محمد الذي عند الشجيرة من اقليم بيت الآبار
 (ديرهند) من قرى دمشق سكنه بعض الامويين
 (قصر ام حكيم) برج الصخر من ارض دمشق منسوب الى ام حكيم بنت يحيى ويقال
 بنت يوسف بن يحيى بن الحكم بن العاص بن أمية وامها زينب بنت عبد الرحمن بن الحرث
 بن هشام بن عبد الملك فولدت له يزيد بن هشام واليها ايضاً ينسب سوق ام حكيم بدمشق
 وهو سوق القلائين قاله ياقوت
 (قنية) قرية كانت مقابل الباب الصغير من دمشق منها جماعة من العلماء
 (الميطور) من قرى دمشق وفيها يقول عرقلة
 وكم بين اكناف الثغور متم كئيب غزته اعين وثغور
 وكم ليلة بالميطور قطعها ويوم الى الميطور وهو مطير
 (بلدان) كانت من اقليم بانياس سكنها عمر بن القاسم الاموي ذكره ابن ابي العجايز
 في حديث ذي القرنين لما عمّر دمشق انه نزل من عقبة دمر وصار حتى نزل في موضع القرية
 المروفة ببلدان من دمشق على ثلاثة اميال. كذا في الحديث بغير نون قال ياقوت لا ادري اهي
 واحد ام اثنان . قلت اذا كانت بلداً بالفردي فهي قرية معروفة لهذا العهد
 ذاك بعض ما وقفت عليه في تضعيف الكتب من اسماء قرى القنطرة الدائرة اليوم
 ويذهب بعض المباحكين الى ان هذه القرى ما برحت في لوح الوجود بل تغيرت اسمائها فقط
 فان كان الامر كذلك فلم يمتغيروا غيرها من الاسماء التي ما برحت بجالها منذ القرون المتوسطة
 ولم يطرأ عليها الا بعض التحريف من السن العامة فقط . وهاك الآن نموذجاً من ايات لشاعر
 الشام في عصره احمد بن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ تنهم منها باقي القرى من دائرها

حي الديار على علياء جيرون
مراد لهوي اذ كفي مصرفة
بالنيريين فقري فالسرير فحة
فالقصر فالمرج فالمدان فالشرق الأ
فالماطرون فداريا فجارنها
تلك المنازل لاوادي الاراك ولا
رمل المصلى ولا اثلاث بربين
”هندستها“

بُنيت مدينة دمشق وسط واد عميق اشبه بواحة بكثرت فيها العفن والرطوبات وبشدتها فيها الحر والبرد خصوصاً في هذه القرون الاخيرة. والبنيان منها كقولهم لا ينفذان الى دورها وطرقها لارتفاع الجدران والسطوح ولولا الشارعان اللذان اُنشئا حديثاً الاول سوق مدحت بلشيط والثاني سوق الحميدية لكانت دمشق على ما هي عليه من الطول والعرض وسكان يقربون الآن من مئتي الف تسمة تسمية قرية كبيرة حقيرة. دور عمرت بالطوب والتراب داخلها كئيب يتكاد جها واكوام من القمامات وبقايا من القاذورات لو دخلها الطبيعيون لقالوا بقصر عمل من يمكنها لولا ان العادة طيبة خامسة. لا جرم انه انت على هذه الحاضرة ازمان من النوضى ضاعت فيها الهندسة فصار الناس يتنون مساكنهم حيث شاؤوا وعلى اي طرز احبوا. يقول بعضهم ان بناء دمشق على هذا النحو والدور يحرمها في محيطها كان من موجبات بقائها حتى الان فدفع مركزها عنها كثيراً من هجمات المهاجرين في القرون المتوسطة وما كان المترفون من اهلبا يعدمون زمن السلم قصوراً في ارباضها يرتبون بها ويصطادون ويتربعون فيها ويرمونها حتى اذا تواترت الغارات وفشت الاضطهادات في القرون الحديثة اُسمى ما في سطح جبلها من المصايف والمرايع وفي ضاحيتها من الضياع والمزارع خراباً باباً

ذكر شيخ الربوة الكاتب الدمشقي وكلامه احسن ما خلف في بنيا الباب ان دمشق كانت مقسومة ثلاث تسعات قسم مبثوث العارة في بقوطينها لوجع لكان مدينة عظيمة ما بين جواسق وقصور وقاعات واصطبلات وطواحين وحمامات واسواق ومدارس وتراب وحمام ومساجد ومشاهد غير القرى والضياع الامهات وهذا الذي ذكرناه لا يوجد بغيرها اصلاً. والقسم الثاني تحت الارض منها مدينة اخرى من متصرفات المياه والقني وجداول ومسابر ومخازن وقنوات تحت الارض كلها حتى لو حفر الانسان ابنا حفر من ارضها وجد مجاري الماء تحته

مشبكة طبقات يمتدة و يسرة شيئاً فوق شيء . والقسم الثالث مسورها وما فيه وحوله من المعمور
 وكافها في وصفها طائر ابيض في مرج اخضر يترشف ما يصل اليه من الماء اولاً فاولاً
 واكد من زار خرائب تدمر وعرف هندسة دمشق القديمة ان تبتك الحاضرتين كانتا
 على نسق واحد في هندسهما فقد كان يحرق دمشق من الشرق الى الغرب شارع عظيم
 مستقيم طوله ١٦٠٠ متر وعلى جانبيه رواقان من العمدة حجرية حائلة هي اليوم مطبورة تعلوها
 الحوائت والدور وقد ظهرت غير مرة اثناء الحفر

والناظر الى ابوابها يتصور مساحتها وهندستها في السابق قال ابن عساكر " ان الباب
 القبلي المعروف بباب الصخبر سمي بذلك لانه اصغر ابوابها حين بنيت . باب كيسان ينسب
 الى كيسان مولى معاوية وذكر انه منسوب الى كيسان مولى بشر بن عمارة وهو الآن مبدود .
 الباب الشرقي سمي بذلك لانه شرقي البلد وكان ثلاثة ابواب باب كبير في الوسط وبابان
 صغيران من جانبيه سد منيما الكبير والباب الصغير الآن من قبله وبقي الصخبر الشمالي .
 باب توما من شمالي البلد ينسب الى عظيم من عظماء الروم اسمه توما وكانت له على باب كنيسته
 جعلت بعد مسجد . باب الجنين من الشمال ايضاً منسوب الى محلة الجنين وهي محلة كبيرة
 كانت بها كنيسة فجعلت بعد مسجداً وهو الآن (في القرن السادس) مبدود . باب السلامة
 من شمالي البلد ايضاً سمي بذلك تقاؤلاً لانه لا يتبياً القتال على البلد من ناحيته لما دونه من
 الاشجار والانهار . باب الفراديس من شماليه منسوب الى محلة كانت خارج المدينة تسمى
 الفراديس وهي الآن خراب وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسد والفراديس
 بلغة اهل الروم البساتين . باب الترج من شماليه ايضاً محدث احدته الملك العادل نور الدين
 وسماه بهذا الاسم تقاؤلاً لما يوجد من الترج بنتمه وكان بقرية باب يسمى باب العمارة فتح
 عند عمارة القلعة ثم سد بعد واثرة باق في السور . باب الحديد من شماليه ايضاً هو الآن
 خاص بالقلعة التي احدثت غربي البلد في دولة الاتراك سمي بذلك لانه كله حديد . باب
 الجنان من غربي البلد سمي بذلك لما يليه من الجنان وهي البساتين . باب الجالية لان الخارج
 اليها يخرج منه لكونه مما يليها وكانت ثلاثة ابواب الاوسط منها كبير ومن جانبيه بابان
 صغيران علي مثال باب شرقي وكان من كل باب سوق تمتد من باب الجالية الى باب شرقي
 كان الاوسط من الاسواق للناس والسوقان الباقيات يجوز منهما الركاب حتى انه كان
 لا يلتقي فيهما راكبان (كما هو الحال في اسواق الغرب اليوم) فسد الباب الكبير والشمالي
 منهما وبقي القبلي الى الآن وفي السور ابواب صفار غير ما ذكر تفقح عند الحاجة منها باب في

حارة الخياط يعرف بباب ابن اسماعيل وباب في المدبفة
 وذكر صاحب محاسن الشام عند كلامه على ابواب المدينة باب السر فقال "انظر في ذلك
 لكونه يفتح الى القلعة وكان الاتراك ينزلون منه سرّاً ويطلمعون منه ويجوز الخارج عن جسر
 من خشب تحت الخندق المحيط بالقلعة بنيف عمقه على مائة ذراع بالعمل به بخزن الماء وبنيت
 البوص وغير ذلك وهو غير خندق المدينة . واصطلى في آخر دولة ابن فلاون ان يصلي من
 ولي نيابة دمشق عند الباب ركعتين مستقبلاً القبلة بحيث يبقى الباب على يساره ونفق اجناد
 القلعة وارباب الوظائف والادراك في منازلهم على حسب العادة متجملين بالسلاح الى ان
 يفرغ من صلاته ودعائه فان اريد به شرفه عليه ودخلوا به ويقبلون الجسر بينهم وبين
 اعوانه فان الجسر بلولب وان اريد به خير اركب في عزته ووجوه الدولة في حقيقته الى ان
 ينزل الى دار العدل التي انشأها نور الدين الشهيد وهي التي تسمى بدار السعادة (سراي
 المشيربة اليوم) وهي تلي باب السر وعلى بابها باب النصر الذي فتحه الملك الناصر بن ايوب
 للدينة . الى ان قال " وغالب هذه الابواب القديمة بنى عليها نور الدين الشهيد منابر على مساجد
 وجعل لكل باب باشورة كالمسوفة بها حوانيت مملوءة بالبضائع فاذا حصنت المدينة واقفلت
 الابواب يستغني اهل كل باب من هذه الابواب بما عندهم وهو مقصد جميل
 هذا واكثر تلك الابواب لم يبرح الى اليوم ماثلاً للعبان غير متداعي البنيان والاركان ولم
 ينقطع من الالسن ذكره سوى باب كيسان والجنيق والفرج وابن اسماعيل والسر والنصر ومنها
 ما تهدم ولم ينقطع ذكره كباب الصغير وباب الحايمة اما السور الذي كانت تحلله تلك الابواب
 فقد كتب عليه بقلم الحائل "سيحان المفرد بالبقاء" ولا تزال الماويل تشغل في هلهل على عهدنا
 هذا ليعلم بجدارته الضخمة المتحوتة ولم يبق منه الا ما اعجز الهادم هدمه لخصامه يومئذ
 "انهارها"

من بقره تاريخ الصدر الاول لا يكاد يرى فرقاً يتأبين حاجيات الانسان اليوم وأمس
 كيف لا والبشر همنا نهمقروا لا غنية لهم عن الضروريات ولا يزهدون فيها زهدنا اهل المشرق
 كانه بالعاديات والاثار اقول هذا وحق لدمشق ان تفتبط لانها سلت لها انهارها منذ قرون
 ولم تسطر عليها الغير . روى ابن عساکر في تاريخ دمشق ان نهر يزيد كان صغيراً يجري فيه
 شيء يسير يسقي ضيعتين في العرطة لقوم يقال لهم بنو فرقا ولم يكن لاحد فيه شيء غيرهم فانوا
 في خلافة معاوية بن ابي سفيان ولم يكن لهم وارث فاخذ معاوية ضياعهم واموالهم فلم يزل
 كذلك حتى مات معاوية في رجب سنة ستين وولي ابنه يزيد فنظر الى ارض واسعة ليس

لها ماء وكان هندساً فنظر الى النهر فاذا هو صغير فامر بحفره ففتحته من ذلك اهل القوطة ودافعوه فلطف بهم الى ان عن لهم خراج سنتهم من ماله فاجابوه الى ذلك فاحترفوا نهراً سمته ستة اشبار في عمق ستة اشبار على ان له مل جنبتيه وكان كما شرط لهم . ومات يزيد سنة اربع وستين فلم يزل كذلك حتى استخلف سليمان بن عبد الملك فاقام عنده رجل من اهل الذمة يقال له جرجه بن قوا (جرجي بن قعرا) شاهدين يشهدان ان له في النهر قناة تجري الى حمام له بديره فسجل له سليمان بذلك سجلاً واشهد به شهوداً ونسخه

” بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كسبه سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين لجرجه بن قوا بثبات قناة في نهر يزيد لما قامت له البيعة وفيه من الشهود عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن الحسين الهمداني ويزيد ابن اسلم وعبد الله بن عبد الملك من اهل القوطة وذلك يوم الخميس في شهر رمضان سنة ثمان وتسعين واتشهد على نفسه وكفى بالله شهيداً “

وقد الما في خلافة سليمان بن عبد الملك حتى لم يبق في بردى الا شجرة يسير فشكها اهل القوطة الى سليمان فوجه مولاة عبيد بن اسلم الى اصل ماء العين ليكروها فينماهم يكرون فيها اذا هم بباب حديد مشبك يخرج الماء من كوى فيه يسمعون داخلها اضطراب السمك في الماء فكتبوا بذلك الى سليمان فامرهم ان لا يغيروا شيئاً عن اصله فلم يزل كذلك حتى ولي هشام بن عبد الملك فسال اهل حرسنا ماء للشرب لثفاهم في مسجدهم فحكم فاطمة ابنة عبد الملك يعني ابنة عاتكة وعاتكة ابنة يزيد على ان يحفروا نهراً صغيراً الى مساجدهم للشرب لا لغيره وفتح الذي امر به قتراً في فتر مستديراً يجري على قدر شبر من ارتفاع الارض

ثم فصل تقسيم الانهار والجداول زمن هشام بن عبد الملك مما لا فائدة في ذكره لنقدان الاصطلاحات التي ذكرها في ميزة الانهار فاعطى الجدول ماء غدقاً والنهر غيضاً وشللاً

وكتب شيخ الربوة في الربيع الاول من القرن الثامن بيذة بشأن انهار دمشق لم نخبر الى اليوم اسمائها واصطلاحاتها فقال ان نهر دمشق ينبعث من مرج الزبداني ومن عين الدولة فوق الزبداني ومن عين النجفة ومن اعين في طول وادي بردى واصل عين بردى من تحت جبل في مرج الزبداني يجنب قرية يقال لها الضيرة . ثم قال ان عدد بنازين دمشق مائة الف واحد وعشرون الف بستان تسقى بماء واحد (باحصاء رسمي بلغ اليوم عدد حدائق دمشق وكرومها ١٩٣٩) يأتي اليها من ارض الزبداني ومن وادي بردى عين نخدر من اول الوادي ومن عين النجفة وينبعث نهراً واحداً يسمى بردى ثم يفرق سبع فرقات كل فرقة نهر يسمى باسم منها نهر يزيد فتحه يزيد بن معاوية فسمي به ونهر ثورة فتحه ملك من ملوك الروم اسمه ثورة

فسمي به ونهر بلياس او بانياس فتحه بلياس الحكيم اليوناني فتسمى به ونهر القنوت وكلاهما يجريان الى داخل المدينة ويتفرقان في المصارف والبرك والقني والحمامات والظهارات ونهر مزه منسوب الى قرية تسمى المزة وكان اسمها المازة ثم نهر دارينا وهو سادس النهور وارتقا بجري وابعدها مقسماً وسابع النهور نهر بردى الجاري في قرارة الوادي ولا يقبل الارتفاع من مجراه ومنه تقسمت الانهار المذكورة. ثم يتقسم من هذه الانهار فرق وجداول وتفرق مشعاً باراضي الفوطه حتى لا يبقى منها بقعة يمكن وصول الماء اليها الا ويصل ويركبا سقياً لها بحساب وتقسيم معلوم في الليل والنهار بساعات معلومة لا تزيد ولا تنقص ثم يخرج عمود بعد ذلك وينبعث في جهة الشرق ويسمي قري وضياًعاً واراضي مرجية وصحراولة حتى يصب في بحيرة شرق دمشق بارض عذراء يثبت بها القصب وهذه البحيرة يصب فيها نهر آخر يسمى الاربعة يجمع عند تحليل الثلج ومن عصارات المياه والمواصي فيكون نهرًا كبيراً

هذا وقد كان خطر لاجد ولاية الفتيان منذ سنين ان يجري قسماً من عين النجعة قبل اخلاطها ببردى يجعله في قسطل من حديد ويوزع على احياء المدينة للشرب فقط لان ما يناله علي بردى من قاذورات القرى في طريقه يجعل النفوس تعاف فانه يظن انك و يضر بالصحة كثيراً لكن هذا التصرف ذهب ذهاب امس الدابر وكلام الليل يحوه النجعة فان قوما هم انقر الى الحاجيات منهم الى الكجاليات لاجرى بهم ان يقدموا الامم على المهم لو كان لهم حلم وعلم

محمد كرد علي

رواية امينة

الفصل السادس عشر

وقفت عطية هائم امام المرأة بعد ان البستها ثيابها وحلاها وقبلها تجلس على العرش وقالت لي "الحمد لله انتهينا ولم اعد احتاج الى شيء". وكانت بحليها وحلتها من ابدع ما رأيت عيني حسن ثنان وقوام يخجل غصن البان وحلة زادت جمالها جمالا وقدما اعند الا على رأسها وفي عنقها ومعصمها شموس من الماسي تبهز الابصار وعلى وجهها برقع فضي كانه الهياض او حمار الماء . فقلت في نفسي اذا رآها نأفد بك ولم يثن بجمالها فما هو انسان . قلت ذلك رعمما عن انفي والحق غلاب لكنني طردت هذا الخاطر عن بالي حالما خطر لي وقلت لها نعم انتهينا وكل شيء على ما يرام . فقالت قولي لم اذا ليأتوا ودعينا نخرج من هنا